**رابعا : صفاته سبحانه و تعالى :**

1.مفهوم الصفات :

هي ممّا قام بالذات الإلهية ممّا يميّزها عن غيرها ووردت به نصوص الكتاب و السنة.

و المقصود بما قام بالذات الإلهية أي بما هو قائم بذاته لا بما يخلقه في غيره ، لأنّ الإضافة لله على نوعين :

نوع هو إضافة ملك و تشريف : و ضابطها كلّ ما يضاف إلى الله و يكون عينا قائمة بنفسها أو حالّا في ذلك القائم بنفسه و مثال ما يضاف و يكون عينا قائمة بنفسها قوله تعالى :" ناقة الله وسقياها" . و مثال ما يكون حالّا في ذلك القائم بنفسه قوله تعالى :" فإذا سوّيته و نفخت فيه من روحي" ، فهذا لا يكون صفة لله تعالى لأنّ الصفة قائمة بالموصوف.

نوع هو إضافة صفة لله تعالى و ضابطها : ما كان صفة قائمة بغيرها ليس لها محلّ تقوم به و هي المقصودة بالتعريف.

فالله لا يوصف إلّا بما قام به لا بما يخلقه في غيره ، وهذا هو حقيقة الصفة ، فإنّ كلّ موصوف لا يوصف إلّا بما قام لا بما هو مباين له صفة لغيره.

2.ضوابط الإيمان بالصفات الإلهية :

*التنزيه : أي تنزيه الله عن مشابهة المخلوقين و نفي النظير و المثيل له سبحانه و تعالى ؛ قال سبحانه : " ليس كمثله شيء و هو السميع البصير" ، وقوله تعالى : " هل تعلم له سميا" و وقوله تعالى :" ولم يكن له كفؤا أحد"

*لا يوصف الله تعالى إلّا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله : و يشهد لهذا قوله تعالى: " ...و أن تقولوا على الله ما لا تعلمون " و قوله سبحانه " ولا تقف ما ليس لك به علم إنّ السمع و البصر و الفؤاد كان عنه مسؤولا "و أعظم الإفتراء هو وصف الله بما لم يصف به ولا وصفه به رسوله صلى الله عليه و سلّم.

* قطع الرجاء في معرفة كنه الصفات : لأنّ صفات الله تعالى غيب و ما يتجلّى منها هو آثارها في الكون و الإنسان ، ومن ادّعى معرفة حقيقة الصفات فقد شبّه الله تعالى بخلقه ، و التشبيه كفر و العياذ بالله تعالى .

*عدم تعطيل الله تعالى من صفاته : أي نفي ما أثبته الله تعالى بالدليل القطعيّ الصريح ، و يكون ذلك بالتحريف أو التكذيب كما فعلت الفلاسفة و بعض الفرق الإسلامية المنحرفة التي عطّلت الله تعالى من صفاته ، فنفت عنه صفة الكلام و الرؤية و العلم و غيرها من الصفات الثابتة .

3. اقسام الصفات :

اختلف العلماء في كيفية تقسيم صفات الله تعالى إلى منهجين كبيرين :

*منهج أهل الحديث :

وهو منهج يقوم على تقسيم الصفات بعدّة اعتبارات :

أ). باعتبار تعلّقها بالذات و الأفعال :

فأمّا صفات الذات : و هي الصفات التي لا تنفكّ عن الذات المقدّسة ولم يزل و لا يزال الله متّصفا بها كالعلم و القدرة و الحياة و الكلام و السمع و البصر و العزّ و الحكمة و العلوّ و العظمة ومنها الصفات الخبرية كالوجه و اليدين و العينين .

و أمّا صفات الأفعال فهي المتعلّقة بالإرادة و المشيئة كالخلق و الرزق و الإحياء و الإماتة و الرفع و الخفض و غيرها .

وقد تكون الصفة ذاتية و فعلية باعتبارين كالكلام فإنّه باعتبار أصله صفة ذاتية لأنّ الله تعالى لم يزل و لا يزال متكلّما ، وباعتبار آحاد الكلام صفة فعلية لأنّ الكلام يتعلّق بمشيئته يتكلّ متى شاء.

ب).باعتبار دلالتها على الكمال و نفي النّقص تنقسم إلى ثبوتية و سَلبية :

فالثبوتية ما أثبته الله تعالى لنفسه أو على لسان رسوله و كلّها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه كالحياة و العلم و القدرة و الإستواء على العرش و النزول و الوجه و اليدينو نحو ذلك.

و أمّا الصفات السلبية : ما نفاها الله سبحانه عن نفسه في كتابه أو على لسان رسوله و كلّها صفات نقص في حقّه كالموت و النوم و الجهل و النسيان و العجز و التعب .

ج).باعتبار أدلّة ثبوتها : تنقسم إلى سمعية وعقلية :

فأمّا السمعية ( الخبرية) هي الصفات التي لا يمكن إثباتها لله تعالى إلّا عن طريق السمع ( الخبر) من خلال الكتاب الكريم أو السنة المطهرة ، و تسمى هذه الصفات بالصفات النقلية أو الخبرية أو السمعية.

و أمّا العقلية فهي ما دلّ العقل على ثبوتها لله تعالى مع ورود السمع على ذلك ، فهي عقلية شرعية.

*منهج المتكلّين ( الأشاعرة):

يقسّمون الصفات إلى أربعة أنواع:

صفة نفسية : و هي صفة الوجود و معناها أنّها الحال الواجبة للذات م دامت الذات غير معلّلة بعلّة و هي صفة ثبوتية يدلّ الوصف بها على نفس الذات دون معنى زائد عليها .

صفات سلبية : معناها عدم شيء أي هي سلوب تنفي ما يضادّها و هي خمس : القدم و البقاء و القيام بالنفس و المخالفة للحوادث و الوحدانية .

فالقدم ينفي عن الله الحدوث.

البقاء ينفي عن الله تعالى الفناء و التغيّر.

القيام بالنفس ينفي عن الله تعالى الحاجة و العجز.

المخالفة للحوادث ينفي عن الله تعالى المماثلة و المشابهة للمخلوقين.

الوحدانية أي نفي النظير و الإنقسام و الشريك.

صفات المعاني: هي كلّ صفة يدلّ الوصف بها على معنى زائد على الذّات و هي سبع : الحياة، العلم ، القدرة ، الإرادة ، الكلام ، السمع و البصر.

الصفات المعنوية : و المراد بها الأحوال الواجبة للذات ما دامت المعاني قائمة بالذات و هي : كونه تعالى : حيّا ، عالما ، قادرا ، مريدا ، متكلّما ، سميعا ، بصيرا.

3.اختلاف العلماء في الصفات الخبرية :

يعتبر أهل من السنة من الطوائف " الصفاتية" أي المثبتة لله تعالى ما أثبته لنفسه في كتابه الكريم و على لسان نبيّه الكريم ، لكن وقعت بين طوائف أهل السنة بعض الإختلافات في كيفية فهم بعض الصفات ، و هذا النوع الذي تمّ الإختلاف فيه يسمّى ب " الصفات الخبرية أو السمعية " : أي الصفات التي انفرد بها السمع و لم يدلّ عليها العقل ، وانتهى اختلافهم في المسألة إلى ثلاثة مذاهب رئيسية :

- الإثبات : هو إجراء اللفظ على ظاهره من غير تأويل ، وهذا مذهب اهل الحديث.
- التأويل : صرف اللّفظ عن المعنى الراجح إلى معنى مرجوح لقرينة .
- التفويض : ردّ ما غاب عنّا و ما يعجز العقل عن إدراكه إلى الله عز وجلّ ، فكلّ ما يعجز العقل عن معرفته أو الإحاطة به فإنّه يفوّضه إلى الشارع الحكيم.

أما المذهب الأوّل فهو مذهب اهل الحديث و أمّا المذهبان الثاني و الثالث فهو مذهب أهل السنة الاشاعرة ؛ يقول حجة الإسلام أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى : " الكلام على الظواهر الواردة في هذا الباب طويل و لكن نذكر منهجا و هو أنّا نقول : عوامّ و علماء ، و الذي نراه اللّائق بالعوامّ أن لا يخاض بهم في هذه التأويلات – أي تفويض المعنى على قائله- بل ننزع عن عقائدهم كلّ ما يوجب التشبيه و نحقّق عندهم أنّ ه موجود ليس كمثله شيء و هو السميع البصير ، و إذا سألوا عن معاني هذه الآيات زجروا عنها ، و يجاب بما أجاب به مالك بن أنس رضي الله عنه حيث سئل عن الإستواء فقال : الإستواء معلوم و الكيفية مجهولة و السؤال عنه بدعة و الإيمان به واجب ، وهذا لأنّ عقول العوامّ لا تتسع لقبول المعقولات و لا إحاطتهم باللغات و لا تفهم توسيعات العرب في الإستعارات.

و أمّا العلماء فاللّائق بهم تعريف ذلك و تفهيمه – أي تأويله- ، و لا أقول أنّ ذلك فرض عين إذ لم يرد به تكليف بل التكليف التنزيه عن كل ما تشبّهه بغيره .